

(٢-١)

تعرضنا للمنطق الذي أثرت على أساسه قضية نشأة المقامة ، وفيما يلي نقف عند النص الذي دعا الدكتور زكي مبارك إلى إثارة القضية ، وهو صفحة وردت في كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" للحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ) حيث جاء في معرض حديثه عن بديع الزمان ما نصه: " وهذا اسم وافق مسماه ، ولفظ مطابق معناه ، وكلام غض المكاسر أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفًا ، والهوى يعشقه ظرفًا ، ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدى أغرب بأربعين حديثًا ، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمان ، في معارض عجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع ولا ترفع له حجبها الأسماح ، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب متصرفة ، عارضها بأربعمئة مقامة في الكدية تذوب ظرفًا ، وتقطر حسنا ، لامناسبة بين المقامتين لفظًا ولامعنى ، وعطف مساجلتها ووقف مناقلتها بين رجلين سمى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الإسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدر ويتنافثان السحر في معان تضحك الحزين وتحرك الرصين ، و يتطلع منها كل طريفة ، ويوقف منها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية وخص أحدهما بالرواية" (٩)

هذا هو نص الحصري الذي أثار القضية ، وقبل محاولة تحليله تجدر الإشارة إلى أن أحاديث ابن دريد الأربعين غير موثوق من وجودها تحت أيدينا ؛ إذ اعتمد د.مبارك على ما رواه أبو علي القالي في الأمالي عن أستاذه ابن دريد ، بعد أن قام بعملية استبعاد لبعض تلك المرويات ، ليرى فيما تبقى - وهو ما يقارب الأربعين - أحاديث ابن دريد المشار إليها في نص الحصري .

إن نص الحصري جملة شرطية ابتعد فيها جواب الشرط عن فعله (لما رأى